وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

الدراسات العليا / دكتوراه

المادة : استشراق

موقف المستشرقين من المعتزلة في الأندلس

أ.د. مثنى عباس عواد

للعام الدراسي : ٢٠٢٥ / ٢٠٢٦

*موقف المستشرقين من المعتزلة في الأندلس

ترمي هذا المحاضرة إلى مساءلة الروايات الاستشراقية لتحديد موقف الخطاب الاستشرافي من وجود المعتزلة في الأندلس، إذ لوحظ ومع تتابع القراءات المعاصرة وتطورها - أن ثمة رأيين في هذا السياق:

الرأي الأول: يدعي أنصاره ضرورة الربط وأهميته بين شخصيات أندلسية وعلم الكلام عند المعتزلة؛ وهو ما يترتب عليه الاعتقاد بوجود مدرسة معتزلية في الأندلس نقف على ذلك على سبيل المثال لا الحصر فيما ذكره المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال (Levi Provençal) حينما صرح بأن المعتزلة وجدوا في الأندلس مجالاً أوسع، وعددًا أكثر من المؤيدين، يفوق بكثير ما أورده لنا المؤرخون الأندلسيون، والذين ترجموا لحياة علماء وطنهم .

في القائمة المكونة من تسعة أشخاص فقط، مما أدى (Cruz Hernandez) وهو ما نوه إليه المستشرق الإسباني كروث إيرنانديث توفي (Miguel) حسب تصوره إلى تأسيس مدرسة معتزلية أندلسية. وهذا الرأي ذاته سبق إليه المستشرق ميجيل آسين بلاثيوس Asin Palacios( )(١٩٤٤م

وهو ذاته ما تبناه بعض الباحثين العرب، وهذا بين لدى نموذجين: أحدهما في معرض حديثه عن موقف ابن جزي الكلبي الأندلسي من المعتزلة، حيث يذهب إلى أن الفكر الاعتزالي قد أخذ سبيله في بلاد الأندلس، ذلك الصقع النائي من بلاد الإسلام بفعل ارتحال الأندلسيين إلى الشرق الإسلامي الحجاز والشام والعراق

.(موطن الفكر الاعتزالي ٣١

وثانيهما في بحثه الموسوم، بعنوان: فكر المعتزلة في الأندلس: الاتجاه الكلامي في الأندلس حتى نهاية عصر الخلافة الأموية (ق ٢-٥ هـ / ١١٠٨ م) .

الرأي الثاني: وفي المقابل بدا رأي مخالف لهذا الطرح السابق، إذ يقترح أنصاره زحزحة الاعتقاد الذي طالما أورده بعض المستشرقين بأن (De Boer) والباحثين في تبني رجالات الأندلس مبادئ المعتزلة ومسائلهم الفكرية؛ فقد صرح المستشرق الهولندي دي بور الأندلس لم يكن فيها معتزلة يُعكّرون بمذهبهم الكلامي سلام الدين). وهو تقريبا ما صرحت به المستشرقة الألمانية زابينه شيمتكه (Sabine Schmidtke) عندما افترضت أنه لا يزال من غير الواضح ما الذي تمثله المعتزلة على الإطلاق في السياق الأندلسي .

أن الافتراضات التي تسمح بوجود اتجاه معتزلي كبير في الأندلس في حقبة ما - (Sarah Stroumsa) ويبدو كما تزعم سارة سترومسا قبل المالكية لا مبرر لها. إن الاختراق الفعلي للمعتزلة للأندلس كان محدودًا للغاية . وهذا الرأي يتعلل - أحيانًا. بما أورده فيلسوف قرطبة ابن رشد (ت: ٥٩٥هـ / ١١٩٨م) حينما تناول مسألة أدلة المعتزلة على وجود الله تعالى بالشرح والإبانة، فقال: «أما المعتزلة: فإنه لم يصل إلينا في هذه الجزيرة من كتبهم شيء نقف منه على طرقهم التي سلكوها في هذا المعنى، ويشبه أن تكون طرقهم من جنس طرق الأشعرية).

ويعضده - أيضا - أنه لم يصل إلى أيدي الباحثين أية مؤلفات للمعتزلة في الأندلس تشرح معتقداتهم وتفصل أصولهم الفلسفية؛ وهو ما نظنه أمرا ليس غريبا في منطقة كتبت فيها الغلبة والهيمنة للفقهاء الدوجماطيقين الذين طالما عاندوا الآراء العقلانية.

ثالثا: آراء المستشرقين حول وجود المعتزلة بالأندلس

١. المؤيدون

يعتقد أصحاب هذا الرأي أنه بالنظر في تراجم رجالات المعتزلة وما ورد من سيرهم، يمكن أن يتشكل لدينا صورة المدرسة أندلسية معتزلية كاملة، وذلك على

النحو الآتي:

أ. يرى ليفي بروفنسال (Levi Provençal) أنه في حين لم يحصل
الشيعي على موطئ قدم في الأندلس، بينما كان لدى المعتزلة عدد أكبر من الأتباع والمناصرين». وقدر أن أول تسلل للمعتزلة إلى منطقة الأندلس لم يكن قبل محمد الأول (حكم من سنة ٨٥٢م إلى ٨٨٦م).

واقترح أن أعمال المعتزلي الموسوعي عمرو بن بحر الجاحظ في القرن التاسع الميلادي، والتي انتشرت على نطاق واسع في الوسط الفكري لقرطبة، قد لعبت دوراً في تقديم مفاهيم المعتزلة إلى الأندلس، يقول: من الصعب أن نحدد الزمن الذي بدأ فيه المعتزلة يتسللون تدريجا بين أكثر عناصر الشعب الأندلسي ثقافة، ونعتقد أن ذلك لم يحدث على أية حال قبل حكم الأمير محمد الأول، وبالدقة في اللحظة التي بدأت فيها مؤلفات الجاحظ تشيع على نطاق واسع بين المثقفين في قرطبة (٣).

ويصور لنا بروفنسال حيطة المعتزلة في تدريسهم للطلاب في هذه البلدان قائلاً: ومما لا شك فيه أن مذهب حرية الاختيار، أو الاستطاعة - كما تسميه المدونات القديمة كانت موضع التشهير في الأندلس، كما هو الحال مع الشيعة... ولكن المعتزلة التزموا أن يدرسوا آراءها للطلاب خفية، دون أن يلحظهم أحد في الوسط

.(الاجتماعي، أو أن يثيروا غضب المحافظين من فقهاء المالكية (١١

، والذي جادل حول (Asin Palacios) ب لاقى اقتراح لافي بروفنسال تطويراً وإنضاجا من قبل المستشرق الإسباني آسين بلاثيوس وجود مدرسة معتزلة في

.(الأندلس اتبعت تعاليم الجاحظ

حيث يرى بلاثيوس أن المعتزلة ظهرت في قرطبة بأثر من عدوى كتابات الجاحظ،

.دراسات استشراقية ١٠٨

.(حيث اطلع عليها النبيل القرطبي أحمد الحبيبي" بمجرد أن جلبها الرجلان - الحبيبي و فرج بن سلام إلى قرطبة

Joaquin) ج. لقي هذا الرأي استحسانًا من قبل بعض الباحثين الآخرين؛ وعلى الخط الفكري نفسه، يشير خواكين لومبا فوينتيس إلى شخصين، أولهما: أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون طبيب من سرقسطة، التقى بالجاحظ في الشرق، وإليه Lomba Fuentes ." يرجع فضل نشر كتب الجاحظ، وعند عودته إلى الأندلس أنشأ مدرسة حقيقية، أول مدرسة للمعتزلة في الأندلس.(

وقد نبه الأستاذ أسين بلاثيوس إلى فضل ابن هارون في إذاعة تعاليم الشيعة الفاطميين، وكذلك المعتزلة في الوقت نفسه . والآخر هو أبو بكر فريج بن سلام. وكان يرى من جهته أن هذين الشخصين ابن هارون و ابن سلام - كونا عددا كبيرا من التلاميذ والأتباع. ويرى . لومبا فوينتيس أن أهمية هؤلاء وغيرهم من المعتزلة تكمن في الدور الذي لعبوه في تمهيد الطريق لإدخال الفلسفة في الأندلس

د. ومن جانبه، يرى المستشرق كروث إيرناندیث أن قائمة من تسعة أفراد يعتقد أنهم مرتبطون بالمعتزلة، منهم: أبو بكر فريج بن سلام . الذي أرسى من جانبه أسس مدرسة أندلسية معتزلية

المؤيد لذلك التواجد المعتزلي في الأندلس على نحو صغير جدا، (David Sklare) هـ. زد على ذلك كله، موقف الباحث ديفيد اسكلر فيقول: «كان للمعتزلة الإسلامية حضورها الصغير - جدا - في الأندلس، وإن كان هناك بعض الأفراد من المتجهين إلى

.المعتزلة، الذين ربما تعرضوا لعلم اللاهوت خلال الرحلات الدراسية إلى الشرق ولكن كان هناك بالتأكيد

من تمشيط المصادر العصور الوسطى، ويقدم كتابها عن (Maribel Fierro) و. يضاف إلى ذلك ما قامت به الإسبانية ماريبل فييرو الأرثوذكسية في الأندلس أكثر المعلومات التي تم جمعها بدقة حول المعتزلة في هذه الفترة المبكرة. ويشمل تحليلها أولئك الذين تم وصفهم بالمعتزلة، وأولئك الذين قيل إنهم متعاطفون ويمكن وصفهم بأنهم رفقاء مسافرون، وأيضًا أولئك الذين تصويرهم على أنهم . معتزلة خاطئ بشكل واضح

كما تذكر فيرو أن نفوذ المعتزلة دخل الأندلس كان تحت حكم عبد الرحمن الثاني (٢٠٦/٨٢٢ - ٢٣٨/١٣٨٥٢. كما تذكر في موضع آخر الكتب الأشعرية التي دخلت الأندلس في القرن الخامس / الحادي عشر والتي حاولت كبح جماح مذهب المعتزلة . يبدو أن . الافتراض الأساسي هو أن هناك شيئًا قويا بما يكفي يتطلب كبحجماحه

توفي ١٩٤٩م) أنَّ الأعلام) (ANGEL GONZALEZ PALENCIA) ز على الدأب ذاته أثبت المستشرق الأسباني أنخيل جناليث بالنثيا السابق ذكرهم قد جمعوا بين الاعتزال ومذاهب الباطنية وآراء الفلاسفة والفقهاء). كما يؤكد على أن نفوذ المذاهب إلى الأندلس ومن بينها المعتزلة كان من طريق الرحلات إلى المشرق، وأن تلك الرحلات عادت بفوائد جمة؛ حيث اتساع معارف أهل الأندلس من سماعهم

. للدروس في حلقات كبار شيوخ المذاهب، ونتيجة لتلك الرحلات، تأصلت العلائق والصلات بين شيوخ الأندلس والمشرق

ويرى أن منذر بن سعيد البلوطي تكونت حوله جماعة تقول قول ابن مسرة الجبلي، وكان معتزليا، وتبعه في ذلك أهله وخاصة ابنه الحكم، وكان شاعراً أديبا متضلعا في علوم الدين، وكان رأس المعتزلة في الأندلس على أيامه، وكان ينهج نهج ابن مسرة في النسك .(والتزهد (٢

المشككون -٢

رغم أن الرأي الأول أكثر قبولاً لدى الباحثين والدارسين العرب خاصة، فإن هناك من يحذر من قبوله دون تحفظ، يظهر هذا لدى التي تشكك في الوجود الاعتزالي في الأندلس، فهو مجرد شبح لم تعثر له على أية أثر. إن Sarah Stroumsa) الباحثة سارة سترومسا إسناد مفاهيم المعتزلة إلى هؤلاء الأشخاص من الأمور المشكوك في مصداقيتها، ولكن حتى لو كانت هذه الصفات صحيحة، فإنها تظل .قصصية إلى حد ما

وأيضا ترى أنه إذا كان هؤلاء الأفراد قد تبنوا نهج المعتزلة حقا، فإن مصادرنا لا تسمح لنا بتحديد ذلك على وجه الدقة. هذا بالإضافة إلى أنه من الصعب بمكان قبول ما زعمه بعض المستشرقين من تأثيرات الجاحظ في رجالات الأندلس؛ نظرا لأن مؤلفات الجاحظ المعتزلي التي راجت ونفق سوقها في الأندلس كانت أكثرها أدبية وليست أعماله اللاهوتية على وجه التحديد، ومن ثم فهي ليست الأعمال المميزة بطابعها المعتزلي ١٦. كما تنبه هذه الباحثة على أن مدرسة المعتزلة في الأندلس بصرف

النظر عن المفاهيم العابرة وبعض المتعاطفين معها، لم يكن لها حياتها الحقيقية، ولا وجودها المهم والمستقل في منطقة الأندلس، .وبالتأكيد لم تشكل أي كيان يستحق اسم «مدرسة

يضاف إلى كل ما سبق، أنه يمكننا التكهن بالطرق التي وصلت بها المقتطفات المتعلقة بالمعتزلة إلى الأندلس. لكن لا توجد أية مؤشرات على الإطلاق لعدم وفرة فضلاً عن وجودها المصادر الأولية للمعتزلة بين المسلمين في الأندلس في هذه الفترة، ويبدو أن معرفة المعتزلة كانت في الغالب ذات طبيعة ثانوية: النقل الشفهي من نوع أو آخر، وربما في الواقع، من خلال الرحالة إلى الشرق أو إلى شمال أفريقيا ".

الذي يرى أن مدرسة المعتزلة، التي (Josef van Ess وهي في هذا الطرح مسايرة للألماني البارع بحسب وصفها - جوزيف فان إس يعتقد أسين بلاثيوس أنه اكتشفها في الأندلس، كانت شبحًا فيما يتعلق بالتأثير اللاهوني ١٣.

تعقيب

فيما يبدو لنا، أن أبرز ما حير أرباب الخطاب الاستشراقي إزاء هذه المسألة، اختفاء المصادر المعتزلية في ربوع الأندلس؛ فالهجمات التي استهدفت الممتلكات الثقافية للمعتزلة والعديد من المحاولات الفكرية العقلانية من المالكية - كانت كفيلة أن تعطي الانطباع بعدم وجود تلك التيارات في إسبانيا.

في أن حملات تدمير الكتب بعيدة كل البعد عن أن تكون مجرد شر محض، فهي (Rebecca Knuth) ونتفق مع الباحثة ربيكا توث عمليات موجهة نحو هدف مرسوم وخطط مسوغة بعناية في إطار الصراعات التي اندلعت بين رؤى متعارضة.

ولعل ذلك ما دفع سارة سترومسا إلى وصفها للوجود المعتزلي في الأندلس